أخطاء التوجيه الجامعي ، مخلفاته وكيفية إدارتها

الأستاذ: منصوري مصطفى

مقدمـــة

يقصد بسياسة التوجيه الجامعي وضع إجراءات تهدف إلى توجيه الطلبة نحو مجالات التكوين بهدف تموين و تزويد سوق العمل بموارد بشرية تعمل على تسيير و تنظيم و تطوير الإقتصاد الوطني.

و نظرا لأن التوجيه الجامعي أظهر عيوبات و فوجات على مستوى اختيار التخصص و تنظيمه والتي ترجع إلى:

1. كثرة الفروع و التخصصات التي تقدم للطالب الجديد و التي تطرح له صعوبة الخيار.
2. احتكار بعض الجامعات خاصة الكبرى منها لبعض التخصصات.
3. نقص و تشويه في عملية الإتصال و الإعلام.
4. تأثير الجماعات الضاغطة (الأسرة، الأب، الزملاء...) على عملية الإختيار والتوجيه و التي تصبح عشوائية.
5. الكشف عن القدرات الحقيقية بعد الإلتحاق بالتخصص.

هذه الأسباب و غيرها تتسبب في رسوب الكثير من الطلبة حيث ينتهي بهم الأمر إما إلى طلب التحويل نحو الشعب كانوا قد رغبوا فيها، أو إلى شعب لا تتطلب قدرات عالية و بالتالي يصبح هدفهم الحصول على أية شهادة لا غير ! كما تسببت في فشل البعض الآخر الذي فضل الإنسحاب من الجامعة...

هذه النتائج (الرسوب و الفشل) لا تترك آثارا سلبية على مستوى تنظيم الأقسام و الكليات و بالتالي الجامعات فقط و إنما تترك آثارا على الطلبة حيث تكون مصدرا

لإحباطات و صراعات و التي تسبب بدورها ظهور بعض السلوكات المنحرفة و الأعراض الباثولوجية الدالة على صعوبة التكيف النفسي و الإجتماعي.

أمام هذا الوضع، يظهر الدور السيكولوجي ضروريا من خلال قيامه ببعض الأدوار قبل إلتحاق الطلبة بأقسامهم الجديدة (دور إعلامي-تحسيسي)، و أثناء توجيههم (دور توجيهي)، و أثناء دراستهم والتحاقهم بجامعتهم (دور إرشادي-تربوي).

- مشكلة الدراسة:

إن الدارس لتاريخ الحضارات، والمتتبع لمراحل النهضة في كل أمة، في إمكانه أن يدرك مدى اهتمام الأمم المتطورة بالتربية عموما وبالتعليم الجامعي على وجه الخصوص. والنظرة الغالبة اليوم بين دول العالم تؤكد أن التعليم الجامعي هو خدمة واستثمار في الوقت ذاته، فقد تتساوى بعض الدول في الإكانيات المادية، المالية والبشرية، ولكنها تختلف في مقداراستغلالها واستفادتها من تلك الإمكانيات، وهذا الاختلاف يعود أساسا إلى حسن التسيير، وإلى ربط مراحل التعليم المختلة بعضها ببعض، ثم تنقية وتهيئة الأجواء المادية والبيداغوجية والاجتماعية للمرحلة الجامعية باعتبارها آخر محطة تعليمية التي تطبع شخصية الطالب المواطن-فتؤثر في مستقبله المهني-الاجتماعي.

والجامعة لا تكون فاعلة إلا إذا شاركت بقوة في عملية التنمية الوطنية الشاملة، وتفتحت على التيارات الثقافية الكبرى.(Abdellah Mazouni,pp118-135)

والجامعة الجزائرية كغيرها من الجامعات -الفتية- أصبحت تواجه صعوبات في أداء وظيفتها البيداغوجية على أحسن وجه، وهذا رغم الإصلاحات التي أدخلت عليها، والمجهودات التي تبذل في سبيل تطويرها، ويعود هذا إلى :

1-كثرة عدد الطلبة أمام نقص الهياكل البيداغوجية خاصة في الجامعات الكبرى انظر الجدول رقم (1).

التخصص	1993-1994	1994-1995	1995-1996	1996-1997	الفرق
	17870	17647	20154	21487	+3617
- علوم تطبيقية	2079	1728	1967	2169	90+
- تكنولوجية	92475	88677	85852	*89051*	3424-
- علوم طبية	21499	22436	24062	24962	3463+
- علوم بيطرية	4546	4410	4521	4497	49+
- علوم طبيعية	17388	18170	19911	23162	5774+
- علوم اجتماعية و انسانية	62654	64178	72692	91810	29156+
- أدب	19580	21181	23345	28875	9295+
	238091	238427	252504	286013	47922+

المصدر Annuaire statistique de l'Algérie n°18 ed 1998

الجدول رقم (1) يوضح التطور العددي للطلبة وفق التخصص من سنة 1993 إلى سنة 1997.

2-اختلال التوازن بين التخصصات وعدم تطابقها مع حاجيات البلاد الراهنة والمستقبلية.

وهذين السببين مرتبطان خاصة بضعف الأجهزة التي تتولى الاختيار والتوجيه والتنسيق بين مراحل التعليمم المختلفة، فقد أصبح الطلبة وهم على وشك الانتهاء من المرحلة الثانوية لا يعرفون إلا الشيء القليل عن الجامعات واختصاصاتها الدراسية وما تتطلبه من مهارات، مما يجعلهم يواجهون صعوبات كثيرة في التكيف مع الدراسات العليا (محمد العربي ولد خليفة، ص94) وهو ما يتسبب في الشعور بالقصور والشك في قدراتهم والرضا بالهامشية التي تؤدي بالكثير إما إلى التحصيل الرديء وإما إلى الرسوب، فقد تراوحت نسبة الذين كرروا في السنة بين عامي 1997-1998 و 1999-2000 في جامعة وهران

السينيا بين 10,50% و 15,50%، و تعتبر هذه النسب مرتفعة –نوعا ما- إذا أخذنا بنظام الحجم الساعي الحقيقي في العام الدراسي، و كمية المعلومات المعطاة، و نظام الإمتحانات، و نظام التقييم، واعتبارات ذاتية أخرى...

لعل الدراسة المتأنية لنفسية الطلبة وما نشأ عنها من الحالات السابقة الذكر تبين أن أغلب الصعوبات التي يعاني منها طلبة السنة الأولى جامعي تعود إلى:

1-نقص إن لم نقل انعدام الإعلام الموجه لهذه الفئة.

2-أخطاء التوجيه البيداغوجي وسوء تسيير عملية التوجيه.

- أولا: مشاكل الإعلام les problèmes de l'information

1-نقص إن لم نقل غياب المعلومات والبيانات عن الأقسام والكليات ومتطلبات الالتحاق بها والنجاح فيها.

2-نقص المعلومات حول أهمية كل تخصص ودوره في التنمية.

3-عدم توفر أغلب الكليات على دليل للطالب guide de l'étudiant يكون مزودا بالبيانات الإضافية والمعلومات الكافية والشروط التي يتطلبها كل تخصص..

4-نقص المشاركة الفعالة لأجهزة الإعلام خاصة التلفزة والإذاعة في الاستجابة للمتطلبات الإعلامية قبل كل دخول جامعي، إذا استثنينا التغطية السطحية.

ولمواجهة مشاكل الإعلام وجعله في خدمة الطالب الجامعي الجديد، يجب أن يبدأ الإعلام من السنة الثالثة ثانوي عن طريق إقامة ندوات وأيام إعلامية وتوزيع منشورات وإلقاء محاضرات حول الجامعة و اختصاصاتها، ومتطلباتها و شروط الإلتحاق بها.

وحتى يكون فعالا، ينبغي ألا يقتصر الإعلام على البيانات الشفوية والملصقات الحائطية، بل من الأفضل أن تتاح للطلبة فرص الاتصال المباشر بين الحين والآخر بكليات وأقسام التعليم العالي، والإطلاع على أجهزتها وطرق العمل فيها، فمثل هذه العملية لا تفيد في توجيه الطلبة فحسب، بل وفي تطوير العلاقات الإنسانية التي تنعكس إيجابا على المنظومة الجامعية.

وعن علاقة الإعلام بالتخصص، فقد بينت بعض الدراسات أن أكثر الطلبة استعلاما بتخصصاتهم هم طلبة الطب ثم طلبة الحقوق، وأقلهم استعلاما هم طلبة البيولوجيا ثم الأدب العربي، وأن الطلبة الأكثر استعلاما بتخصصاتهم هم الأقل رسوبا والأكثر تكيفا مع دراستهم.

- ثانيا: مشاكل التوجيه: les problèmes de l'orientation

حسب المرسوم التنفيذي رقم 82-89، إن التوجيه في الجامعة يساعد الطلبة على اختيار شعب دراستهم حسب مؤهلاتهم ونتائجهم، وعلى أساس معلومات كاملة عن الاحتياجات في مختلف ميادين النشاط السياسي والاقتصادي والثقافي والاجتماعي، وتطورها المنتظر، أي محاولة ملاءمة إنتاج التعليم العالي مع متطلبات السوق الوطنية للعمل.

والتوجيه السليم لا يعني مجرد وسيلة لتحقيق الذات بل إنه عامل من العوامل التي تؤثر في الذات فتغيرها وذلك عن طريق تغيير نظرة الإنسان إلى نفسه والعالم الذي حيط به، ومعرفة دوافعه وإمكانياته (دوجلاس توم،ص10).

وتعتمد سياسة التوجيه الجامعي على ركيزتين أساسيتين:

أ-تنظيم ملائم للتعليم الثانوي الذي يمد الجامعة بالأغلبية العظمى من طلابها، فإذا كان من الضروري تكوين عدد أكبر من المهندسين مثلا، يجب إذن أن يعاد النظر في تنظيم التدريس الثانوي لكي يسمح بإعداد الحد الأقصى من تلاميذ الثانوي لدخول هذه الاختصاصات.

ب-إجراءات تسهيل الانضمام إلى تخصص أو آخر، أو العكس، بحيث يتم تطبيق إجراءات تيسر أو تعيق الالتحاق بتلك التخصصات وهذا على مستوى الامتحانات حسب عدد المترشحين، وعدد المقاعد البيداغوجية، وأهمية التخصص خاصة على المستوى العملي. (مراد بن أشنهو، ص14).

وإذا لم يكن التوجيه سليما، وسقط في العفوية والارتجالية، فإن تأثيره يتعدى الطالب إلى الجامعة والمجتمع، وهنا نكون بصدد التكلم عن أخطاء التوجيه والتي نلخصها في الأخطاء التالية:

1-الخلط بين الرغبة والقدرة: مما لا شك فيه أن تحقيق رغبة الطالب للقبول بالدراسة التي تنسجم مع ميوله واتجاهاته وتطلعاته أمر مهم لتحقيق أهداف التعليم العالي والرفع من كفاءاته. ونظرا لتزايد عدد الراغبين في الدراسة بالجامعة قياسا إلى عدد المقاعد المتاحة، فيصبح من غير الممكن تحقيق رغبات الطلبة، ولهذا لا تكفي الرغبة للالتحاق بتخصص معين وإنما يتوقف الأمر قبل ذلك على المقدرة العلمية والحصول على المؤهلات اللازمة للقبول بذلك التخصص.

2-عدم احترام الرغبة: كثيرا ما يوجه الطلبة إلى اختصاصات قد لا يرغبون فيها، فيترتب عن ذلك ضعف التحصيل، والرسوب المتعمد، مما يدفعهم إلى طلب التحويل نحو تخصص آخر، أو إلى ترك الجامعة فيما بعد، وما علينا إلا إلقاء نظرة في بداية كل سنة جامعية-على مركز التوجيه الجامعي- لإحصاء عدد الطلبة الذين يطعنون في التوجيه أو يطلبون التحويل! أنظر إلى الجدول رقم (2)

التخصص الموجه إليه / نوع شهادة البكالوريا	التاريخ		لغة إسبانية	علوم اقتصادية	علوم تجارية
أدب-	130	67	4	10	24
- علوم	66	11	12	222	195
- رياضيات	12	6	4	41	40
- تقني اقتصادي	8	1	2	5	12
- علوم إسلامية	1	-	-	-	8
- محاسبة	1	-	1	-	66
- إعلام آلي	-	-	-	5	16
المجموع	218	85	23	283	361

الجدول رقم (2) يبين نموذج من توجيه الطلبة للعام الدراسي 1992-1993 بجامعة وهران -السينيا-

من الجدول السابق يلاحظ وجود اختلال بين نوع شهادة البكالوريا و التخصص الموجه إليه الطالب في الاختصاصات الخمس التي أخذت كنموذج لتوضيح أخطاء التوجيه. فمثلا نسبة 39.90% من حاملي بكالوريا غير أدبي وجهوا نحو تخصص التاريخ، و هي نسبة كبيرة جدا.

نفس الملاحظة يمكن الإشارة إليها لدى الطلبة الموجهين نحو اللغة الإسبانية، إذ نجد أن نسبة 17.39% فقط وجهوا إلى الإسبانية مقابل 82.60% ممن يحملون بكالوريا علمي وجهوا إلى الاختصاص المذكور. حتى و إن طرحت مسالة الرغبة فما كانت النسبة لتصل إلى هذا العدد.

3-احتكار بعض الجامعات لبعض الاختصاصات: هناك بعض الاختصاصات تحتكرها بعض الجامعات، كالبيطرة في تيارت، والتربية الرياضية في مستغانم، والهندسة البحرية في وهران... بالنسبة لطلبة الغرب الجزائري مثلا، فبحكم وجودها بعيدة عن مقر سكناهم، يفضل الطلبة اختصاصات أخرى أو أي اختصاص ؟! بديلا عن الأول، وقد يكون التفضيل عن طريق الصدفة، ويرجع ذلك إلى سببين:

أ- سبب مادي، إذ أن ابتعاد الطالب عن مقر سكناه يكلف مصاريف لا تتحملها إلا الأسر الميسورة اقتصاديا.

ب- سبب تقليدي، والذي ينطبق على الطالبات، حيث أن أوليائهن يرفضون تسجليهن بعيدا عن مقر سكناهم. كذلك هناك نسبة من الطلبة تفضل أن لا تبتعد عن عائلاتها و عن مقر سكناها لأسباب معنوية – نفسية أكثر منها مادية.

4-الجماعات الضاغطة والتوجيه: كثيرا ما يكون للآباء دور مؤثر في توجيه أبنائهم نحو بعض التخصصات، بل وفرضها عليهم دون التأكد من أن أبنءهم سيتابعون الدراسة في تلك التخصصات بنجاح، وهذا لاعتقادهم:

-أن أبناءهم ما يزالون مراهقين ولا يفقهون شيئا حول الجامعة وما يدور فيها.

-يوجهونهم نحو تخصص يرغبون هم فيه (أي الآباء) لأنهم لا يستطيعون تحقيق ذلك في حياتهم.

ومن بين الجماعات الضاغطة كذلك، نجد الرفقاء خاصة رفقاء الحي أو القرية، فعادة ما يتوجه منهم عددا كبيرا ضمن مجموعة واحدة للتسجيل في تخصص واحد دون النظر إلى الرغبة في التخصص ولا حتى ما يتطلبه من إمكانيات واستعدادات معرفية، وإنما بهدف المحافظة على الجماعة –التي هي رمز الآمان– وخوفا من الضياع في المجهول.

5-الضغوطات الاقتصادية: نظر لتفتح بعض التخصصات على عالم الشغل، ولمكانتها بين المهن، كالطب، والإعلام الآلي والحقوق، والعلوم التجارية...فإن الطلبة يندفعون نحوها دون مراعاة لقدرتهم الحقيقية، ولما تتطلبه هذه التخصصات من مستوى قد يفوق مستواهم، مما يرفع احتمال ونسبة الفشل والرسوب (Pierre Naville ,p50) .انظر الجدول رقم (3).

الاختصاص	عدد المسجلين	النسبة المئوية
-علوم قانونية وإدارية	766	%11.21
-العلوم الطبية (طب+ صيدلة+جراحة الأسنان)	764	%11.18
-علوم اقتصادية+ تجارة+ تسيير.	660	% 9.65
-الطب	519	%7.59
-العلوم الدقيقة والإعلام الآلي	440	%6.43
-بيولوجيا المدى الطويل	431	%6.30
-علوم إسلامية	396	%5.79

الجدول رقم ( ) يبين توزيع عدد الطلبة الحاصلين على شهادة البكالوريا 2000 حسب أولوية وأهمية الاختصاصات السبع الأولى في جامعة وهران- السينيا-

من الجدول السابق، يتبين أن الاختصاصات التي ترتبط بعالم الشغل هي التي تستقطب العدد الكبير من الطلبة نحوها، و هي الإختصاصات التي يدخل معظمها في مجال تقديم الخدمات، أي لا تستفيد منها القطاعات الحيوية الأخرى كالصناعة و الفلاحة و الثروة المائية إلا قليلا !، و هنا يتساءل الباحث عن مصير خريجي التخصصات الأخرى.

- ثالثا: سوء التوجيه وعلاقته بسوء التكيف:

إن الخطأ في التوجيه لا يؤدي إلى الفشل وإلى ضياع الوقت-والتوقف عن الدراسة فقط- بل يؤدي إلى وضعية سلبية عامة لا تسمح أبدا بالاندماج مع اشكال أخرى من الدراسة، والتي تقود إلى صعوبة التكيف مع الوسط الجامعي والذي يتحول شيئا فشيئا إلى صعوبة التكيف مع الوسط الاجتماعي.

فالتوجيه والاختيار النهائي هما اللذان يحددان المستقبل العلمي للطالب، والذي سيكون مطبوعا إما بنجاحات وتفوقات وبالتالي بتكيف، أز بإخفاقات وفشل وبالتالي بسوء تكيف. وحالات التكيف تمثل مظهرين:

أ-عدم تكيف الطلبة و الذي يكون بسبب الرسوبات المتكررة في الامتحانات، سببه الرئيسي عدم قدرة الطالب للإستجابة إلى المتطلبات المعرفية و التخصص الذي يدرس فيه.

ب-سوء تكيف اجتماعي الذي يظهر بالرغم من النجاح في الاختصاص، كاستمرار لرفض الحقيقة اليومية،أو الحقيقية المستقبلية، المهنية. فالطالب الذي يكون حائزا على شهادة البكالوريا شعبة علوم الطبيعة والحياة، ويجه إلى تخصص التاريخ، فالبرُغم من تباعد الاختصاصين إلا أن الطالب قد ينجح في التخصص الذي وجه إليه (التاريخ) وهذا

بدافع إكمال الدراسة من أجل التخلص من الضغوطات العائلية والاجتماعية حتى وإن لم يكن متكيفا مع الوسط الجامعي!

ولقد تبين في إحدى الدراسات أن 30% من الطلبة وخلال أوقات معينة من حياتهم الجامعية لهم رغبة في الاستفادة من بعض النصائح والتوجيهات لحل مشاكلهم الشخصية.

- رابعا: استراتيجية مواجهة أخطاء التوجيه:

إن الطالب لا يستطيع أن يعتمد على خبراته ومعلوماته وتفكيره في بناء مستقبله التربوي والمهني بل يحتاج إلى من يساعده في التخطيط لذلك المستقبل، كما يجد نفسه في حاجة إلى من يعاونه على بناء نفسه من خلال الحكم السليم الذي يبصره بإمكانياته ويعرفه بقدراته ومواهبه وبما يستطيع تحقيقه أو بما لا يستطيع.

فنشاطات السيكولوجي أو المرشد النفسي، لا تظهر جليا في كليات وأقسام الجامعات، غير أنه حاليا أصبحت مطلوبة بل وضرورية وهذا لعدة اعتبارات منها:

-إن الإصلاحات التي أدخلت على نظام التعليم العالي (كيفية الدراسة، نظام الدراسة، مدة الدراسة، شكل ونمط التوجيه..)، وصعوبات التغير التي تواجهها كل جامعة (تعدد الأقسام، استقلالية الكليات، وتعدد الاختصاصات العلمية) إضافة إلى الأشكال والطرق المختلفة للتدريس باتت تطرح العديد من المشاكل للطلبة وللوالدين خاصة مشكلتي التوجيه والتكيف والتي يصعب حلها إذا لم يستنجد بأصحاب الإختصاص من سيكولوجيين وموجهين ومرشدين.

-إن تطورات الساحة العلمية والتقنية، والمعطيات المعقدة للعالم الاقتصادي الخاضعة للتغيرات -والتي لم تكن دائما متوقعة- تقود إلى تقلبات في عالم الشغل والتي تخيف الذين التحقوا بأقسام التعليم العالي وليس لديهم الخيار، فأصبح مستقبلهم غامضا لأنه تابع لمجالات عمل غير واضحة كحالة الطلبة المتخرجين بشهادة في علم إجتماع التنمية، أو البيولوجيا النباتية أو اللغة الروسية...

فالسيكولوجي هو أقرب الناس لمساعدة الطالب قبل وأثناء التحاقه بالجامعة، لما يقدمه من مهام والتي نذكر منها:

أ-تقديم المعلومات اللازمة عن إمكانيات الدراسة ومحتواها وبناؤها ومتطلباتها للطلبة الجدد.

ب-الإشراف على الطلبة الذين لديهم صعوبات شخصية في مسيرتهم الدراسية.

ج-المشاركة في الحياة الطلابية والتفتح على الأسئلة التي يقدمها الطلبة والاساتذة، ومن ثم تقديم إرشادات واقتراحات و حلول.

د-القيام بالنشاطات العلمية والبحوث التي تحتاجها الإدارة والطلبة.

للمهام المذكورة و غيرها من المهام، و لمعرفتها بأهمية و خطورة التوجيه، سارعت الدول المتقدمة إلى إنشاء مكاتب التوجيه و الإرشاد الجامعي، فكانت جامعة مينيسوتا الأمريكية سباقة في فتح أول مكتب للتوجيه و الإرشاد الجامعي عام 1932،ثم تلتها الدول الأوروبية الأخرى كألمانيا الذي فتح أول مركز بها 1954 بمدينة هامبرغ...

فأهداف التوجيه تتحقق إذا استطاع الطالب تكوين صورة واقعية عن ذاته، من خلال إجابته على الأسئلة المحورية التالية: من أنا ؟ وماذا أريد ؟ وما هو السبيل إلى ذلك ؟

لذا ينبغي على السيكولوجي عند مساعدته للطالب الأخذ بعين الاعتبار مستوى مؤهلاته وإمكانياته ومدى ثقته في قدراته الخاصة.

وانطلاقا من هذا يكون على السيكولوجي توجيهه من أجل بذل جهد أكبر للوصول إلى نتائج مرجوة (A.Brenco.p95) .

من هنا تظهر أهمية وضرورة إنشاء مركز التوجيه والإرشاد الجامعي، يعمل به المتخصصون في علم النفس، ويديره أستاذ في علم النفس كذلك.

- خـــــــاتـــمـــة:

فعملية التوجيه و على الرغم من الجهود التي بذلت لإنجاحها، إلا أنها لازالت بعيدة على بلوغ الأهداف المنتظرة، و هذا بطبيعة الحال نتيجة المشاكل التي تعوق مسارها و التي

لن تجد لها حلا ما لم يعطى للسيكولوجي الدور المنوط به في عملية التوجيه مع تظافر جهود الأساتذة و الأولياء.

و لكن مهمة السيكولوجي لا تقتصر على مساعدة الطلبة على اختيار نوع التخصص المناسب لهم فقط، بل قد تتعدى ذلك إلى مدهم بالمعلومات المتعلقة بالمهن المختلفة لمختلف التخصصات و الدراسات الموجودة، و لا يتحقق ذلك إلى إذا كان لدى السيكولوجي نظرة واسعة حول عالم الشغل.

- قائمة المراجع:

1- دوجلاس توم: توجيه المراهق، ترجمة عبد الحميد جابر، دار النهضة العربية، القاهرة، 1962.

2- محمد العربي ولد خليفة: المهام الحضارية للمدرسة والجامعة الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1989.

3- محمد عبد الحميد الشيخ حمود: الإرشاد النفسي، جامعة دمشق،1994.

4- مراد بن أشنهو: نحو الجامعة الجزائرية:ترجمة عائدة أديب بامية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1981.

5-Delrio,Brenco Abarca :psycho-pedagogie et dynamique de l'orientation des groupes scolaires. Alger, ED OPU.SD.

6-Mazouni,Abdellah :culture et enseignement en Algérie et au Maghreb, Paris, Ed François Maspero.1969.

7-Naville,Pierre :théorie de l'orientation professionnelle, Paris. Ed Gallimard.1972.

8-Reuchlin,Maurice :traite de psychologie appliquée. tome5.Paris,Ed P.U.F.1970.